الشاعر مقبل نصر غالب

رائد الشعر "الحلمنتيشي" في اليمن

الشعر الحلمنتيشي، تسمية ساخرة لنوع من الشعر الضاحك كان قد أطلقها الشاعر المصري حسين شفيق المصري على ماكان ينظمه من شعر هزلي وفكاهي في العشرينات من القرن الماضي.

وأساسه أن يأتي في بداية قصيدته الهزلية بمطلع قصيدة قديمة من أجود الشعر، ثم ينسج على منوال هذا المطلع شعراً فكاهياً هزلياً فيكون شعره أشبه بمعارضة هزلية للقصائد القديمة الرصينة التي نظمها كبار الشعراء، وقد بدأ حسين شفيق كامل بمعارضة المعلقات السبع التي نظمها أشهر شعراء الجاهلية وأطلق على معارضاته هذه مصطلح (المشعلقات) وبدأ مشعلقاته بمعارضة معلقة الشاعر الجاهلي طرفة ابن العبد التي مطلعها:

لخولة أطلال، ببرقه ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

فقال حسين شفيق كامل:

لزينب دكان بحارة منجد تلوح بها أقفاص عيش مقدد
وقوفاً بها صحبي عليّ هزارها يقولون لا تقطع هزارك واقعد
انا الرجل الساهي الذي تعرفونه حويطا كجن العطفة المتلبد
فلما تناغشنا الغداة وهزّرت معانا واعتنا برولاً بموعد
رأت زوجها يدنو فغطت عيونا بشال طويل كالملاية أسود

وتعتمد الفكاهة هنا على وضع الكلمة العامية بجوار الكلمة الفصيحة، لتضفي على القصيدة طابعاً هزلياً، وقد غلبت تسمية الشعر الحلمنتيشي فيما بعد على كل شعر هزلياً، وقد غلبت تسمية الشعر الحلمنيشي فيما بعد على كل شعر هزلي، أو يتسم بطابع السخرية. وقد تأثر بهذا اللون من الشعر شعراء كثيرون ومن أبرزهم الشاعر اليمني مقبل نصر غالب، الذي عرف بمعارضاته الساخرة لكثير من قصائد الشعر العربي الشهيرة، فقد كان يميل إلى تغيير القصائد الشهيرة بأسلوبه الساخر، ليضفي عليها نكهة جديدة ويعكس فيها رؤيته المغايرة للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية القائمة في الوطن العربي عموماً ووطنه اليمن خصوصاً، فهو يتناول سلبيات الواقع وينتقدها بجرأة غير معهودة، وبسخرية لاذعة، تثير القارئ، وتدفعه للضحك من الصور الكاريكاتورية التي يرسمها للواقع غير المرغوب فيه، والذي يتمنى تغييره نحو الأفضل، ومن ذلك على سبيل المثال، سخريته من الفساد الإداري والمالي المتفشي في بلده فقد استعار قصيدة شهيرة للشاعر المتنبي مطلعها: إذا غامرت في شرف مروم

((إذا ماكنت ذا شرف رفيع فلا تقع بما دون النجوم))

وقال على منوالها:

اذا ماكنت في وضع المدير فلا نضع بشيكات الوزير
فتبني منزلاً من غير جهد وتنفذ من إهانات الأجير

وعرف ايضاً بتحويراته لبعض المقولات الشهيرة، ليضفي عليها طابعاً هزلياً ساخراً كقوله:"

كن حذراً، من العميل إذا افضحته ومن الوزير إذا نصحته ومن الوكيل إذا صارحته ومن المدعوم إذا ناطحته". فهو بذلك يسخر من كثرة العملاء الذين يخونون وطنهم بارتمائهم في أحضان أعداء الوطن، كما يسخر من الوزراء الذين لا يقبلون النصح والمشورة من الآخرين، ويسخر كذلك من وكلائهم الذين يميلون إلى حجب الحقائق وتغطية العيوب بالزيف والمغالطة، وينفرون من الصراحة، كما يسخر من بعض الموظفين الفاسدين الذين يتكؤون على دعم من بعض المتنفذين في الدولة، ليتمادوا في فسادهم.

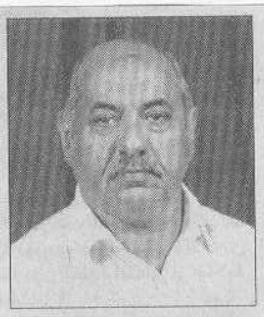

د.علوي عبدالله طاهر

ومن اساليبه في السخرية من العملاء انه لجأ إلى قصيدة شهيرة لإيليا ابي ماضي، يقول مطلعها:" كن جميلاً ترى الوجود جميلاً".
فيجري فيها تحويراً ساخراً على نحو:

كن عميلاً ترى الزميل عميلا ولا ترضى بواشنطن بديلا
ولا تجزع إذا بعت النخيلا وبعت الأرض والأعراض طولا
فكم من خائن أضحى جليلا وكم من مخلص أضحى عليلا

ومن أقواله في السخرية من الوزراء الفاسدين قوله:
" قيل لوزيركم عمرك؟ فقال عشر وزارات وعشرين عمارة ".

ومن شدة سخريته في الوزراء الفاسدين انه كان يلجأ احياناً إلى ابتكار قصص طريفة على طريقة حكايات الأطفال للتخلص من تبعات مسؤولية المساءلة عن تلك السخرية، ومن ذلك مثلاً سرده لهذه الحكاية التي سماها (وزير القطط) نشرت في صحيفة البورزان، العدد،9.8 أغسطس 1991م.

قال فيها:

يقال أن احد سلاطين الدولة العثمانية تقدم إليه احد أقربائه طالباً منه منصب وزير فأقنعه السلطان أن منصب الوزير يتطلب أن يكون لديه علم أو ثقل اجتماعي أو أن يكون ابن شهيد سياسي، ولكنه أصر على ذلك، ولو كان مجرد لقب يضفي عليه دون أن تكون لديه مسؤولية أو يمارس عملاً، حتى لو كان وزيراً للقطط.

فضحك السلطان وقال: إما هذا المنصب فقد عينتك فيه ومستعد ان اكتبه لك خطياً فأخذ الرجل الأمر ووضع له (بروازاً) خشبياً وزجاجاً وقام بحصر القطط وتسجيلها ثم كان يدخل على لسلطان أثناء اجتماعاته فيهمس في آذنة ان القطة البيضاء رغم كذا قد ولدت فأنجبت ثلاث قطط.

فيضحك السلطان ضحكاً عالياً، وكثيراً ماكان ينعي القطة في موتها.. وهكذا.

وتمر الأيام الشهور فيخرج السلطان في نزهة فرأى قصراً شامخاً فسأل عن صاحب ذلك القصر، فقالوا له: انه لوزير القطط. ثم مر بجانب مزرعة كبيرة، فسأل عن صاحبها فقالوا له: انها لوزير القطط، وهكذا كلما مرّ على متجر او سوق، يقال له: انها لوزير القطط.

فطلب السلطان وزير القطط ليسأله: من أين لك هذا؟ فقال: إنني عندما كنت ادخل عليك واهمس في أذنك أثناء الاجتماعات فتضحك فيظن الناس أن لي عليك تأثير في قراراتك فيأتي الناس اليّ، ويقدمون لي العطايا والهبات والأموال لا جعلك ترضى عنهم، وكنت أقدم لك بعض المعاملات لتنجزها على أساس إنها للقطط، فتوقعها وأنت تضحك،

الشعر الحلمنتيشي، تسمية ساخرة لنوع من الشعر الضاحك كان قد أطلقها الشاعر المصري حسين شفيق المصري على ماكان ينظمه من شعر هزلي وفكاهي في العشرينات من القرن الماضي.
وقد تأثر بهذا اللون من الشعر شعراء كثيرون ومن أبرزهم الشاعر اليمني مقبل نصر غالب، الذي عرف بمعارضاته الساخرة لكثير من قصائد الشعر العربي الشهيرة، فقد
كان يميل إلى تغيير القصائد الشهيرة بأسلوبه الساخر، ليضفي عليها نكهة جديدة ويعكس فيها رؤيته المغايرة للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية القائمة في الوطن العربي عموماً ووطنه اليمن خصوصاً، فهو يتناول سلبيات الواقع وينتقدها بجرأة غير معهودة، وبسخرية لاذعة، تثير القارئ، وتدفعه للضحك من الصور الكاريكاتورية التي يرسمها للواقع غير المرغوب فيه، والذي يتمنى تغييره نحو الأفضل

في حين إنها كانت لصالح بعض التجار أو كبار المسؤولين وفي مقابل ذلك كانت احصل على مبالغ طائلة.

وتميز أسلوب مقبل نصر غالب بالسخرية من محيطه، ونقد مجتمعة نقداً لاذعاً سواء بالتلميح أو بالتصريح، إلا أن الغالب في سخريته لجؤوه إلى استخدام الشعر الحلمنتيشي على طريقة الشاعر المصري حسن شفيق المصري، ولكنه فاقة سخرية، وتصويراً للأمور التي تندر منها، وتنوع القضايا التي تناولها بأسلوبه الفكاهي المتميز. ووسيلته في ذلك تحوير القصائد الشهيرة لكبار الشعراء العرب في العصور المختلفة وإلباسها ثوباً قبيحاً مهلهلا، لتصوير حال الواقع المعاش غير المرغوب فيه.

ومن ذلك مثلاً معارضته لمعلقة عنترة ابن شداد الشهيرة التي يقول مطلعها:

هـل غـادر الشعراء من متـردم أم هل عرفت الدار بعد توهـم

وقد عارضها مقبل نصر غالب في أبيات يسخر فيها من الاختلال الأمني بقوله:

هل غـادر المدراء بـعـد تجهـم أم هـل عرفـت الـعدل بعد تقاسم
حتى رأيـت الأمن يـفرض نفسه يـطفي ويسـرع في حراب الأطقم
هـلا رأيت الكـرش يـا ابـنـة حمير أن كـنـت جـاهـلـة بـهـذا الدرهم
يـنبـئك من قتل الـعروس بقارح ومضى يـقـر بـجـرمه فـي المأتـم
ومـثـقـف كـره الأبـاة نـفـاقـه يرغي ويـزبـد مـثل ثـور ملـجـم

ومثلها معارضته لأبيات شوقي الشهيرة في تكريم المعلم ورفعة شأنه في المجتمع، والتي مطلعها:

قـم للمعـلـم وفـه التـبـجـيـلا كـاد المـعـلـم ان يـكـون رسـولا

فيقول على منوالها ساخراً من الوضع السيئ الذي يعيشه المعلم، واصفاً حاله باسوا حالة ، فقال:

قـم للمعـلـم واسـتـمـعه قليلا كـاد المـعـلـم أن يـموت عليـلا
فـانـا المعلم والحضارة صنعتي حتى وان كان المـعـاش ضـئـيـلاً
وانـا المعـلـم أن تـوانـي مـرة شـهـد الأنـام تـخـلفـاً وخـمـولا
نمنـا زمانـاً فـاسـتـبـد بأمـتـي ظـلـم الـطـغـاة منـكلاً تـنـكيلا
أن المعـلـم أن قـصـصت جناحه ترك الـعـلوم وأهـمل التحصيـلا
أن المعـلـم لا يـقـود لـنـهـضـة أن كـان اصـلا يـعـدم الـتـأهـيلا

وفي نقده لارتفاع الأسعار وجشع التجار، قام بتحريف أغنية شهيرة مطلعها:

قل للمليحة ذي الخمـار الأسـود مـاذا فـعـلت بـنـاسك متـعـبـد

فقال على منوالها:

قل للمليحـة في الزمـان الأنكـد مـاذا فـعـلت بـنـاجـر مـسـتـور؟
مـازال يرفع فـي الذرى أسـعـاره لما رأك مـع الـتـوحـد تـسـعـدي
قد كـان يرغـب أن تكـوني ملكه وبرغم هـذا الـجـوع لم تستعبدي
أن كـان لا يـرضـيـك إلا فـارس ماكـل هـذا الـصـبـر، كم تتجلدي؟

وكثيرة هي القصائد الساخرة التي نظمها الشاعر مقبل نصر غالب، والتي تحافيها منحى الشعر الحلمنتيشي، وهو ليس من الشعر السهل كما يبدو للقارئ أو السامع لأول مره بل هو فن بالغ الصعوبة فهو لايحتاج إلى الشاعرية فحسب بل يحتاج إلى الظرف وخفة الظل والقدرة على التلاعب بالألفاظ لإضحاك الناس وأكثر من ذلك يحتاج إلى صراحة وجرأة لنقد الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية وهو ما يتميز به شاعرنا مقبل نصر غالب الذي عرف بنقده اللاذع، وخفة ظله، وشجاعته وجرأته في نقد الأوضاع وتصديه للفساد والمفسدين ولذا كان لابد من التعريف به والوقوف عند بعض مراحل تكوينه ونشأته.

إنه الشاعر مقبل نصر غالب:

لقد ولد في مديرية العدين من محافظة إب، عام ١٩٥٢م. وينحدر من أسرة فقيرة في ظل العهد الأمامي المتخلف، وكان الشاعر قد وصف مرحلة الطفولة بقوله:

ولدت بأرض الربى والهضـاب صبياً اغني الصبا والتصـاب
أفيق وللكـون شـدو الطيـور وأغفو على صوت نبـح الكـ
نصارع كـل ظروف الحيـاة لنفرح يـوم المنـى بالصُراب
يناصفنـا الشيـخ مانجتنيه ونصف البقيـة جيش الخـراب

ثم انتقل إلى مدينة عدن لطلب العلم فيها، ولكنه واجه فيها قساوة الحياة على أشدها فكان يقضي نصف نهاره في الدراسة والنصف الآخر في العمل بعيداً عن حنان الأم ورعاية الأب وهو ما عبر عنه بقوله:

فلم أر في الأرض قلباً رحيمـاً بكيت فابكـيت حتـى الـتـراب

كان ذلك في الفترة الواقعة بين ١٩٦٠ و١٩٦٦م وانتقل بعدها إلى تعز لعله يجد فيها من يتولى رعايته ويمكنه من مواصلة دراسته وفيها درس المرحلتين الابتدائية والإعدادية بطريقة الجمع بين الدراسة والعمل التي كان قد اعتادها في عدن، إلا أنه كان يحضر الدروس المسائية التي يقدمها بعض العلماء الأفاضل في بعض المساجد، فقد درس الفقه على يد الشيخ عبدالرحمن قحطان، ودرس اللغة العربية على يد الأستاذ عبد الملك داؤود ودرس الفكر الإسلامي على يد الأستاذ ياسين عبدالعزيز، فتفتح ذهنه للقراءة، وصار شغوفا بها، وهو ماشجعه للاطلاع على بعض كتب الأدب.

وقراءة بعض دواوين الشعراء وبدأت تظهر محاولاته المبكرة في نظم الشعر منذ كان تلميذاً في الإعدادية وتحديداً عام ١٩٧٠م حيث بدأ محاولاته الأولى بقصيدة حاكى فيها قصيدة للشاعر احمد الشامي والتي كان الشامي نفسه قد عارض فيها قصيدة الجندول لعلي محمود طه.

أنـا مـن ضـيـع فـي الأوهـام عـمـره
قـد سـئـمـت الـحـلـم مـن أول نـظـرة
وعـرفـت الـخـلـق فـي الأرض وشـرّه
خـيـرهـم مـن يـتـقـي الأصـحـاب غـدره
قـد شـربـت المـرحـتـى لـم ادع فـي الـكـاس قطرة
وشـربـت الـمـر الـوانـا وأدمـنـت امـرّه

ويبدو طابع الحزن واضحاً عند الشاعر منذ محاولاته الأولى وفي سن مبكرة جداً.

وفي نهاية العام الدراسي ١٩٧٥/٧٤م كان قد أنهى الثانوية العامة، وبعدها حصل على دبلوم المعلمين ولكنه واجه صعوبات شتى للحصول على التوظيف في سلك التدريس الحكومي، فاضطر للعمل كمدرس متعاقد في الفترة المسائية، وهو ما اضطره للقول: من قال في الدبلوم عيش اسعد فهو التعاسة والظلام الانكد

وكان للشاعر حضور ومشاركات في المناسبات المختلفة سواء كانت دينية أو وطنية أو اجتماعية فقد نظم قصائد في المولد النبوي وفي الهجرة وفي الإسراء والمعراج، وكتب مقالات في بعض الصحف كما ألقى خطابات في بعض المساجد تناول فيها جملة من القضايا من وجهة نظر ناقدة، ومن ذلك مثلاً مقالة كتبها في صحيفة العروبة العدد ١٩ الصادرة في ١٩٩١/١٠/٢٨م، ينتقد فيها العمل الحزبي وغياب الحرية الفردية في الأحزاب، قال فيه متسائلا:

« هل يستطيع الحزبي أن يعبر عن رأيه الشخصي دون أن يحاسب عليه من حزبه؟ أو يحاسب عليه من الأحزاب الأخرى؟»

ويجيب عن هذا التساؤل قائلا:

« حسب تقاليد معظم الأحزاب لا يعبر العضو إلا عن فكر الحزب ورأيه ومواقفه، ولا يؤيد أية خطوة تقوم بها جماعة أخرى إذا كانت تختلف مع جماعته، بل قد يصل الأمر إلى منعه من اللقاءات الشخصية مع الشخصيات في تلك الجماعات، أو التعاون مع أفراد تلك الجماعات أو حتى التعامل واغرب من هذا أن رأي الفرد الشخصي تعتبره الجماعات الأخرى رأي الحزب أو الجماعة التي ينتمي إليها، فتقوم بشن هجوم على الجماعة كلها.» أ.هـ.

وله مقالات أخرى تنتقد مفهوم الديمقراطية بالصورة التي ظهرت عليها في الوطن العربي عموماً وفي اليمن تحديداً وطالب بإعادة النظر في الديمقراطية بما يتناسب مع متغيرات العصر وظروفه ومنها مقالة نشرها في صحيفة الجمهورية في العدد ٤٥٤، الصادر في ١٩٩١/٧/١١م. قال فيه:

((هذه الديمقراطية التي عرفها الشعب العربي سقطت مثلما سقط قناع العماله والولاءات الأجنبية بأدلة واضحة في الوقت الذي لم يستطيعوا تقديم أدلة على عمالة معارضيهم الذين ذبحوهم سقطت الحلول المستوردة التي فرضت بالحديد والنار لا بالحوار الديمقراطي والإقناع العلمي والتفكير العقلي. ولذلك فالعرب مطالبون بإعادة النظر في الديمقراطية بما يتناسب مع متغيرات العصر وظروفه ومتطلباته في إطلاق حرية التفكير حرية العمل ، حرية العلم، حرية الممارسات الدينية، حرية التعبير حرية الحياة حرية الانتخابات، حرية الاستفتاء، حرية النشاط الاقتصادي، وفق فلسفة يتفق عليها أبناء الشعب)) أ.هـ.

وكان الشاعر قد سافر إلى الأردن لدراسة التربية وعلومها عام ١٩٧٥م وفيها جره الحنين إلى محبوبته في الوطن، فقال:

من القلب مـن مبعـث الأدمـع أناجيك إن كنت لـم تسمعـي
أناجيك والقلب منـي حزيـن وقـد اثر البعـد فـي أضلعـي

وكان الشاعر بعد عودته من الأردن عام ١٩٧٨ قد فوجئ بأنه مدعو لحضور حفل عرس تلك الفتاة التي أحبها وهي تزف لشخص آخر، فأثر ذلك في نفسه وقال:

سئمت الحيـاة فـلا أطمـع ولـم أر فـي العيش مـايمتـع
ولم تلهني زركشات الحيـاة ولا بلبـل الـروض إذ يسجـع

وبعدها ترك تعز واتجه إلى صنعاء ليعمل في مجال تدريب المعلمين في أثناء الخدمة، وفيها تفاعل مع كل مستجدات العلوم التربوية، من خلال الدورات الكثيرة التي حضرها والمؤتمرات التربوية، المتعددة التي شارك فيها، مما مكنه من التعرف على مشكلات التربية، والقيام بإعداد دراسات وبحوث ميدانية تناول فيها جملة من القضايا التربوية الهامة ونشرت بعضها في عدد من المجلات والدوريات المتخصصة وكان لموقعه القيادي كمدير للتدريب في أثناء الخدمة منذ عام ١٩٨٢م حتى ١٩٩٠ أثره الكبير في تمكينه من تشخيص كثير من المشكلات التربوية وإيجاد الحلول لها. ومع ذلك كان ضحيه من ضحايا التقاسم الذي حصل بعد قيام الوحدة عام ١٩٩٠م حيث تم إبعادة من موقعه ولم يدخل ضمن قائمة التقاسم، فاثر ذلك في نفسه تأثيراً كبيراً، فاستحضر قصيدة من قصائد الشاعر الكبير عبدالله عبدالوهاب نعمان (الفضول) وكتب على منوالها قصيدة حزينة قال فيها:

مالدهري كيـف أيامـي تسيـر مالهذا الجـرح والدمـع الغزيـر
كلما فتشت عـن روض نظيـر صدني السبع بأصـوات الزئيـر
وإذا حاولـت اروي ظمـئـي أجد الثعبان فـي مـاء الغديـر
وإذا يممـت وجهـاً ناسكـا فسهام الغدر في ظهـري كثيـر
وإذا أملت في غيـم النـدى رحـل الغيـم وخلاني أسيـر

وربما كان لهذا التجاهل الذي حصل للشاعر مقبل نصر غالب من قبل ولاة الأمر والمتنفذين في وزارة التربية في مرحلة مابعد الوحدة أثره البالغ في نفسه حيث شعر أنه صار مهمشا ولم يعد قادراً على التأثير في صنع القرار، ولا المشاركة في إبداء الرأي، وهو ما دفع به ليكون شاعراً ساخراً من الحياة والأوضاع السياسية القائمة ومتذمراً من الممارسات الخاطئة التي مارسها بعض المتنفذين في أجهزة الدولة، ولعل ذلك هو احد أسباب اندفاع الشاعر للسخرية من محيطه والحياة عموماً وهو ماجعل شعره يتسم بالسخرية، تعبيراً عن عدم رضاه مما يجري في الواقع.